تحقيق نجاحات في علاج مرض السيدا وانخفاض في نسبة الوفيات بسببه

الدكتور مصطفى النقيب
مدير البرنامج الوطني لمكافحة السيدا

لقد ادى التوسع العالمي في امكانية وصول المتعايشين مع السيدا الى العلاج المناسب ليس فقط الى تغيير مجرى الوباء انما ايضا الى تطورمفهوم الصحة العامة ككل. والذي اذا ما دلّ فانما يعطي برهاناً على أحقية الجميع في الوصول الى الرعاية الصحية دون اي استثناءات. لقد جاءت التقارير السنوية لدى منظمة الصحة العالمية و برنامج الامم المتحدة للايدز خلال السنوات القليلة الماضية، والتي تبيّن لنا الازدياد المضطرد في عدد الاشخاص الذين تمكنوا من الوصول الى اخذ العلاجات المناسبة لمرض الايدز خلال هذه السنوات كدليل واضح على النجاحات المحققة عن طريق العلاج. من خلال براهين علمية تدّل على التحسّن الكبير الملحوظ في صحة هؤلاء المرضى، والذي ادى الى انخفاض نسبة الدخول الى المستشفيات لاسباب تتعلق بعدوى فيروس السيدا ومضاعفاته. كذلك ادّى الى انخفاض نسبة الوفيات من جراء مرض السيدا. فاذا ما قارنا ارقام الاشخاص الذين يتناولون الدواء في البلدان المتوسطة و القليلة الدخل والذي بلغ ٣٠٠ الف شخص سنة ٢٠٠٢ نرى انه في سنة ٢٠١٢ اصبح هناك ٩,٧ مليون شخص يحصلون على العلاج . من جهة اخرى، فان الاصابات بفيروس السيدا قد انخفضت بنسبة اكثر من ٥٠٪ مقارنة بين العامين ٢٠٠١ و ٢٠١٢. اما بالنسبة للوفيات من جراء الاصابة بالفيروس فقد انخفضت الاعداد من ٢,٣ مليون حالة وفاة سنة ٢٠٠٥ الى ١,٦ مليون حالة وفاة سنة ٢٠١٢.

واذا ما درسنا بعمق هذا التطور الايجابي في مكافحة مرض السيدا جراء تناول هذا الدواء الفعال (علما ان هذا الدواء يحسّن من وضعية وصحة المريض ولا يعطي الشفاء الكامل) نرى انه ما زال هناك فروقات ملحوظة في توزع نسب الاشخاص الذين بحاجة للعلاج والذين ياخذونه فعليا. كما هنالك اعداد كبيرة من حاملي الفيروس لا يستطيعون الوصول الى العلاج لاسباب كثيرة كالجندر والاطفال والاشخاص الاكثر عرضة للخطر، وذلك لاسباب متعددة مثل الفقر والجهل كذلك الوصمة والتمييز.

اذا ما انتقلنا للوضع الوبائي بفيروس السيدا في اقليم شرق المتوسط وشمال افريقيا والذي يشمل بالطبع لبنان، فاننا نلاحظ تزايداً ملموساً في عدد الاشخاص الذين يحصلون على علاج لمرض السيدا الا ان عدد الاصابات الجديدة بهذا الفيروس ما زال يتزايد بوتيرة اسرع. و اذا ما دل ذلك فانه يدل على انه ما يزال هناك فارق كبير بين اعداد الذين يتناولون الدواء وبين الذين هم بحاجة اليه. الا ان ذلك لا يجب ان يشعرنا بالاحباط فان الانجازات المحققة في هذا الاطار بمنطقتنا مقبولة جدا، وذلك عندما ندقق بالارقام التي لدينا؛ ففي سنة ٢٠٠٨ كان هناك حوالي ٨٠٠ شخص يتناولون العلاج بمضادات الفيروس و اصبح هذا الرقم يناهز ال ٣٣ الف شخص سنة ٢٠١٢. كل ذلك قد تحقق من خلال زيادة الوعي لدى كل الفئات. كذلك توفير خدمات اختبار الفيروس مع خدمة المشورة و توفير الادوية المضادة للفيروس.

هناك فارق كبير بين اعداد الذين يتناولون الدواء و بين الذين هم بحاجة اليه.

تحسين فرص العلاج

ومن اجل تحسين فرص العلاج بالادوية، كان لا بد من ابتكار طرق جديدة وفعالة للكشف عن الاصابات الجديدة او التي قد حصلت سابقا ولم يتم الكشف عليها بعد. وقد ساهم برنامج الفحص الطوعي والمشورة عن فيروس السيدا في المساعدة على كشف اعداد كبيرة من هذه الاصابات.

وبذلك تمكن هؤلاء الاشخاص من معرفة وضعهم الصحي بالنسبة الى الاصابة والتقدم الى مراكز العناية والعلاج. و نحن في لبنان كوزارة صحة قد وضعنا اهمية كبيرة على برنامج الفحص الطوعي والمشورة، وقد حققنا بذلك تقدماً ملحوظاً في التشخيص والكشف عن حالات الاصابة الغير معروفة.

لقد عمد البرنامج الوطني لمكافحة السيدا في وزارة الصحة العامة الى اتباع البروتوكولات العالمية وخصوصا تلك الصادرة عن منظمة الصحة العالمية في علاج مرض السيدا. وقد ساهم اقتناع المسؤولين في الوزارة لاهمية و حتمية البدء بتنظيم واعطاء العلاج على نفقة الوزارة في تحسن وضع المصابين بفيروس السيدا بشكل ملحوظ. وقد بدأت الوزارة بتامين هذا العلاج في منتصف التسعينات و كان للخبراء المحليين من اطباء و تقنيين الدورالكبير في تطور وانجاح هذا المشروع.

وقد ساهمت حملات الوقاية والعلاج الدعائية في رفع مستوى الوعي عن السيدا والعلاج لدى المصابين بالفيروس مع توفير هذه الادوية بشكل مجاني مما رفع ثقل الكلفة المادية عن عاتقهم خصوصاً عندما نعلم انه في البداية كان المريض الواحد يحتاج الى اكثر من ٢٠٠٠ دولار علاج لمدة شهر، وكان هذا يشكل حاجزا اساسيا في عدم اتباع العلاجات بشكل دائم ومتواصل. اما في الوقت الحاضر فقد بلغت تكلفة العلاج الثلاثي لمرضى السيدا اقل من ٣٠٠ دولار وهي مغطاة بشكل كامل، بدون اي انقطاع من قبل وزارة الصحة. وقد بدانا نرى ان الاغلبية الساحقة من الذين يخضعون للعلاج يواصلون اخذ ادويتهم بشكل دائم و بانتظام. وعندما نعلم ان الادوية المضادة لفيروس السيدا لا تقضي على الفيروس بشكل كامل انما تساعد جهاز المناعة لدى الانسان على استعادة عافيته بدرجة عالية جدا مما يساهم في خفض احتمالية الاصابة بالامراض الانتهازية التي كان من الممكن ان يصاب بها في حال لو لم يتناولها. وبالنتيجة يصبح المريض قادرا على مواصلة حياته الاعتيادية بما فيها ممارسة النشاطات اليومية والعمل بشكل عادي وفعال.

لقد اصبح لدينا في لبنان ما يقارب ال ٦٥٠ مصابا بالفيروس يتناولون العلاج الثلاثي بالمضادات القهقرية. وعندما نعلم ان البروتوكول الجديد للعلاج قد اتخذ نقلة نوعية في تحديد مستوى المناعة المطلوب للبدء بالعلاج، فاننا نتحضر لازدياد ملحوظ في اعداد الذين سوف يكونون مؤهلين للبدء بهذا العلاج، وعليه نؤكد ان وزارة الصحة العامة قد اتخذت التدابير المطلوبة لتغطية الاعداد الموجودة اصلا وتلك التي سوف تكون مطلوبة لاحقا.

تراجعت الاصابات بفيروس السيدا بنسبة اكثر من ٥٠٪ مقارنة بين العامين ٢٠٠١ و ٢٠١٢. اما بالنسبة للوفيات من جراء الاصابة بالفيروس فقد انخفضت الاعداد من ٢,٣ مليون حالة وفاة سنة ٢٠٠٥ الى ١,٦ مليون حالة وفاة سنة ٢٠١٢.

تطوّر العلاج

من جهة اخرى، يقوم البرنامج الوطني لمكافحة السيدا باستمرار باللحاق بالتطور الحاصل في نوعية الدواء وجودته وفعاليته، وذلك لمواكبة الركب العالمي بالتطور، وعلى مدى الثلاثين سنة الماضية، تطورت انواع الادوية الموجودة عالميا بشكل اصبح من الممكن للمريض ان يتناول حبة واحدة في اليوم الواحد، والتي تحتوي على الادوية الثلاث المطلوبة بدلا من تناول عشرات الحبوب في اليوم كما في السابق. واصبحت لهذه الادوية الجديدة مضاعفات جانبية اقل و فعالية اكبر في القضاء على الفيروس . علما انه حتى ساعة تحضير هذا التقرير لم يجد العلم دواء شافيا كليا او لقاحا فعالا لمرض عوز المناعة المكتسب السيدا.

واخيرا، نود ان نذكر ان وزارة الصحة تؤمن العلاج الثلاثي لكافة المواطنين اللبنانين المصابين بالفيروس والذين يجب ان يخضعوا للعلاج حسب البروتوكول الوطني. كذلك تؤمن العلاج للمرضى من التابعية الفلسطينية والذين تم تسجيلهم لدى منظمة الاونروا، وحاليا تشمل هذه التغطية بمساندة من منظمة الصحة العالمية اللاجئين السوريين المصابين بالفيروس والذين تم تسجيلهم لدى المفوضية العليا لشؤون اللاجئين.

في لبنان ما يقارب ال ٦٥٠ مصابا بالفيروس يتناولون العلاج الثلاثي بالمضادات القهقرية.